

فنون تشكيلية

«نوتة فيروزية»
إكريليك على
كانفاس - 150 ×
150 سنتم - (2011)



معرضه الاستعادي الذي
تستضيفه «غاليري أيام»
في بيروت، يختزل تجربته في
العقد الأخير (2007 - 2017)
بكل تحولاتها البصرية.
ولعلها مناسبة تتيح لنا
مراقبة تطور محترف هذا
التشكيلي المجدد، وانخراطه
في حداثة محلية محمولة
على ذاكرة متشظية

جديد الفنان السوري في «غاليري أيام» بيروت

أسعد عرابي مؤرخاً محنتنا العربية

دمشق - خليل صويلح

اختار أسعد عرابي (1941) عبارة «إطفاء الجمر في الصقيع» عنواناً لمعرضه الاستعادي الذي تستضيفه «غاليري أيام» في بيروت، مختزلاً تجربته في العقد الأخير (2007 - 2017) بكل تحولاتها البصرية: الغوص في طبقات اللون لإشعال النار في صقيع جغرافيا تحتصر، وتاريخ يتقهقر تحت ضربات لحظة متوحشة. تجربة تنطوي على حساسية مشرقية تؤرخ لمحنة المدن العربية على خلفية إيقاعية متوترة، تزواج الحلم بالأسطورة، ثنائية التدمير والتعمير، الحس والهذيان، ونسف المسافة بين التجريد والتعبيرية التشخيصية. في مقاربتة لشخصية أم كلثوم، استعاد زمناً مضيئاً، ممجداً رموز عصر النهضة العربية، ليس من باب الحنين وحده، إنما بقصد ترميم عطب أيديولوجي من نظرة استشراقية تسللت إلى المحترف العربي على وقع فوضى مطرقة العوالة. وهنا احتفاء نغمي بالتخت الشرقي الأصيل، وتناوب مدرّوس بمهارة بين إيقاع اللون وحركة الآلات الموسيقية، بإيقاظ حاسني السمع والنظر عبر وحدات سردية متجاوزة تجمعها سينوغرافيا بصرية مشبعة، في نقلات لافتة ما بين منديل أم كلثوم وشجن

محمد القصبجي، إلى الكرسي المقلوب لصاحب «رق الحبيب» إيداناً بأقول ذلك العصر الذهبي من جهة، واستنفار لوني يوظف قوسي التطريب والتأبين، من جهة ثانية. يوضح: «لا شك أن إحياء ذكرى أم كلثوم كرمز لعصر النهضة المتسم بالتسامح الديني والقومي، لا يخلو من إدانة مضمرة للانحسار الثقافي العام مقابل صعود الأصولية العمياء»، فيما يرصد في «تحية إلى موريس بيجار» التحولات الموسيقية للجسد العنقري، والاشتياك المرن بين الإبروتيكية والصوفية، وصولاً إلى التجريد الغنائي في أعمال لاحقة، من دون التخلي عن طوبوغرافية التكوين الحضري. هناك أيضاً، اشتغاله على الطبيعة المبتة، لكنه، في حفرياته، يسلك دروباً أخرى، مانحاً إياها تضاريس مختلفة، بانتشالها من سكونيتها. سنلحظ إيقاعاً حركياً للموجودات، ونبضاً موسيقياً يشي بحياة سرية، تستدعيها ذاكرة متاجرة يغذيها الحس والحواس بدقة إيروتيكية تكاد تعلن عن نفسها في مقاصد الخطوط والأشكال والشهوات المضمرة. منطقة مغايرة، تعيد الألق إلى هذا الموضوع المألوف، وتنسج مرجعياته التقليدية المستقرة، لتضعه في مقام لوني آخر، في

«حوار بصري» مضبوط وملغز. الطبيعة الصامتة هنا، ما هي إلا استكمال لعناصر معمارية من الحارة الشامية التي أعاد صوغها كتلة متجانسة. هذه المرة، ينشغل بموجودات الداخل، ويمزجها بإشارات روحانية تلغي بعدها السكوني والواقعي. إذ تتجاوز دائرية الثمرة مع انسيابية المئذنة، في حوار شجي، ووجد صوفي، بين الخارج والداخل. وقد يتمازجان على سطح نغمي واحد. في محطة أخرى، ستباغته المحنة السورية

التطريب اللوني لديه
يتكى على مفاهيم
أصيلية في معنى الحداثة

بجمها وغربانها وجحيميتها، لتضيف لحناً جنائزياً أكثر عنفاً في تهجير «الساكن من المسكون» إلى حدود فقدان صكوك الملكية، في إشارات تعبيرية إلى الدمار الذي تعبشه المدينة منذ سنوات، مستبدلاً حميمية تلك العمائر المتشابكة بقيامة وحرائق وانتهكات، كأننا إزاء طقس أضح، من دون توقّف، أو كما يحدث لحززون بلا صدفه تحميه. عراء روحي ومسوخ جماعي وبرابرة لتدمير التاريخ وتفتيت خرائط

الفردوس الشامي بنعيق غربان طويل. وإذا بأزقة الحوارية القديمة المسكونة بالسحر والتعاويد والأساطير، تفقد روحانيتها تحت وطأة النزوح، بدلالته المكانية والتاريخية، عن طريق منهج خاص في معالجة طوبوغرافية هذه الحوارية، على نحو آخر، وكحصيلة لاحتمالات داخلية تستدعي طبقات لونية متنافرة، بنبرة مآتمية. هكذا تتأرجح هذه الأعمال بين مفهومي الوجودية والوجد، بوجدان يقظ، على خلفية نغمية تهندس تكويناته الحسية، مستنفراً الذاكرة في المقام الأول، فهي، وفقاً لما يقوله «أول مصفاة تأويلية للواقع المحسوس»، في بيانه المرافق للمعرض، يكشف أسعد عرابي عن تطور مقاماته اللونية ومرجعياته التشكيلية ورفضه الحياء في مواجهة الكارثة الراهنة. ذلك أن اللوحة التي تمثل ضمير المصور «لا تحتل شهادة الزور، والتزام الصمت». ويضيف: «لست التشكيلي الوحيد بالنتيجة الذي تحدوه صبوة المقاربة بين التشخيص والتجريد، بين الموسيقى والتصوير. فأنا أنعقب (منذ الاستهالات الأولى) المسعى التوليقي التصوفي لدى المصور - الموسيقي القطب بول كلي. كذلك شأن الوجودي نيكولا دو ستايل، انتهاءً بوليام دي كوونينغ وكيفر، عبوراً من بيكاسو وكوبكا

وبرانكوزي. أذعنت لوحتي لتأثير بعضهم بدرجات متفاوتة». هذه المراجعة تتيح لنا مراقبة متدرجة لتطورات محترف هذا التشكيلي المجدد، وانخراطه في حداثة محلية محمولة على ذاكرة متشظية بين أمس حميمي، وراهن يحتشد بحطام وأسى وتمزقات حضرية/ قبلية، يشبهها بتواتر دورات الفصول، ضمن «تطور عضوي متدرج»، بعيداً عن الأسلبة والمارتينغ والحداثة المسطحة. ذلك أن التطريب اللوني لديه، في معظم مراحلها، يتكى على مفاهيم أصيلة في معنى الحداثة، تلك التي تستمد قيمتها - بسلك خفي - من «المميزات الروحية للموروث التشكيلي للأسلاف، سواء كان رسوم المخطوطات أو الأيقونات أو الأرابيسك والحلي وخيال الظل والمقرنصات وأنواع الرقش». ما بين برزخي الذاكرة والنسيان، إذاً، يصوغ أسعد عرابي خطوته وحدوسه اللونية، طامساً المسافة بين التجريد والتشخيص كاستجابة مدروسة لأسئلة ما بعد الحداثة. ثم إنه بنظرة أخرى، يعيدنا إلى وصية هنري ماتيس «دعوا التصوير يفصح عن ذاته».

معرض أسعد عرابي: حتى 6 كانون الثاني (يناير) 2018 - «غاليري أيام» (بيروت). للاستعلام: 01/374450